The 56th Pugwash Conference on Science and World Affairs

A Region in Transition: Peace and Reform in the Middle East
11-15 November 2006, Cairo, Egypt

Report on WG4: Islam and the West

Co-Conveners: Claire Galez, Mahmood Vaezi
Rapporteur: Siddiq Wahid

مؤتمر الباجواش السادس والخمسون للعلوم والشؤون الدولية

إقليم في طور التحول: السلام والإصلاح في الشرق الأوسط
15-11 نوفمبر/تشرين الثاني 2006، القاهرة، مصر

تقرير مجموعة العمل الرابعة: الإسلام والغرب

إدارة الجلسات: كلير جاليز *Claire Galez* و محمود فايزي *Mahmood Vaezi*
المقرر: صديق وحيد *Siddiq Wahid*

يلخص هذا التقرير ما دار في ندوات مجموعة العمل الرابعة في مؤتمر الباجواش السادس والخمسين للعلوم والشؤون الدولية. وقد أسنِد إلى هذه المجموعة مناقشة موضوع "الإسلام والغرب".

ملاحظات أولية

مثلما كان الحال في العام الماضي، كانت المجموعة مؤلفة من طوائف متعددة ممن يمثلون الإسلام والغرب. وبالإضافة إلى ذلك، كان هناك في هذا العام ممثلون من مجموعة متنوعة من المشاركين من داخل العالم الإسلامي. وقد ساهم ذلك في إثراء المناقشات بدرجة أكبر.

بدأت المجموعة بمناقشة مدى ملاءمة العنوان للموضوعات التي سيتم تداولها؛ أي العلاقات بين "الإسلام والغرب". وتمثلت الاعتراضات الأساسية على هذا المصطلح في: (1) أن أيا من هذين الكيانين ليس متجانسا وعلى ذلك فهناك حاجة إلى النظر في عناصره (2) أن وضع الإسلام مقابل الغرب ليس صحيحا فهناك أيضا مسألة الإسلام في الغرب (3) أنه عند تناول حقيقة وجود تواصل بنّاء بين الكيانين عبر التاريخ، فربما ينبغي أن تقتصر المناقشة على العلاقة بين "الإسلام السياسي" والقيادة السياسية للغرب و(4) أن وضع المصطلحيْن معا غير متسق لأن أحدهما يمثل حضارة بينما الآخر يمثل منطقة جغرافية.

بعد مناقشة قصيرة، تبين لأعضاء المجموعة أن هذه ليست مجرد اختلافات لغوية، وأن من المهم إدراك أن العنوان بطبيعته قد يكون قاصرا. ولذلك فقد بدأنا العمل انطلاقا من بعض الافتراضات الأساسية: (أ) أنه لا ينبغي لنا أن نقتصر على مناقشة التعريف فقط، وأن نسلّم بأن المقصود - بنظرة أكثر اتساعاً - مناقشة المناخ الحالي للمواجهة بين "الإسلام" و "الغرب" ودون التقليل من شأن العلاقات الإيجابية بينهما. (ب) أن المناقشات المطروحة ليست فقط بين الإسلام والغرب، ولكن هناك مناقشات داخل الإسلام ومناقشات داخل الغرب، وأن كل تلك المناقشات مرتبطة بعضها ببعض. (ج) وأنه سيكون من الصعب حصر المناقشة في قطاع واحد فقط من الإسلام أو من الغرب.

كانت هناك أربعة مقترحات أساسية، ووجهات نظر مؤيدة ومعارضة، سيطرت على جدول أعمال النقاش داخل هذه المجموعة. وهي كما يلي:

1. أن الدين والدولة يجب فصلهما في المجال العام

2. أن المواجهة بين الإسلام والغرب هو نوع من "صدام الحضارات"
3. أن الجهود الرامية إلى تهميش المرأة تؤدي إلى تفاقم العلاقات بين الإسلام والغرب
4. أن التعليم هو عنصر مركزي وحاسم في جَسر الفجوة القائمة بين الإسلام والغرب

وتجدر الإشارة إلى أن هذه النقاط الأربع لم تكن محددة مسبقا، ولكنها انبثقت عن المناقشات. غير أن المجموعة ناقشت، تحت هذه العناوين، العديد من القضايا والأفكار. وقد حاولتُ أن أُضَمِّن أكبر قدر ممكن منها في هذا التقرير.

الفصل بين الدين والدولة

كانت هناك ثلاث مجموعات من الآراء حول هذا الموضوع، تغطي الاتجاهات الجغرافية والمذهبية. البعض يعتقد بقوة أنه يجب الفصل بين الدين والدولة، وأن إقحام الدين إلى حلبة السياسة قد وَلَّد العنف عبر التاريخ. ورأى آخرون أنه على الرغم من أن ذلك قد يكون مستحبا، فمن الصعب تنفيذه عمليا، ومع ذلك قال آخرون إن هذا الفصل غير ممكن لأن الإسلام احتفظ بحق إقامة دولة إسلامية. وهذا الجزء من الحوار هو مما يمكن وصفه كحديث عن "الإسلام السياسي". وبتعبير آخر، فقد كان مناقشة حول مدى صواب أو خطأ السياسات التي تستخدم لغة الدين.

وقد تطرقت المناقشة إلى ذكر مفهوم الاجتهاد، أو تفسير القوانين والأحكام والضرورات المترتبة على تعدد وتنوع أحوال المسلمين علي اختلاف مجتمعاتهم، من أجل "أمة" إسلامية تتحقق بها وحدة المسلمين. باختصار، كان التأكيد على أن فكرة الاجتهاد ينبغي أن تُفهَم وأن يجري استخدامها على وجهها الصحيح، ولابد أن الانتشار الجغرافي الواسع للإسلام على مدى أربعة عشر قرنا قد جعل من ذلك أمرا بديهيا، وأن الإسلام جاء إلى العالم بقائمة طويلة من الحقوق السياسية، مما جعل منه قوة اجتماعية. وخلال المناقشات حول هذه النقطة، أشيرَ إلى أن الحقوق أتت ومعها الواجبات وأنه ربما لم يأخذ ذلك حقه من المناقشة. وبعبارة أخرى، ما الذي تعنيه ممارسة الديمقراطية؟ وكان هذا التساؤل في سياق مناقشة حول إمكانية أن تكسب جماعات "الأصوليين" السلطة عن طريق صناديق الاقتراع. وما تم التأكيد عليه أنه في مثل هذه الحالات فالمهم هو ضمان ألا تسمح القوانين بأى احتمال "لوأد الديمقراطية".

وطرح أحد المشاركين في المناقشات فكرة إتاحة الفرصة للحديث عن "الأمور المقدسة" في حياتنا. والغاية من ذلك، هو إعادة تحديد الخطوط الفارقة بين الأمور العامة والأمور الخاصة والمقدسات. وقد أُشيرَ إلى أن هذه المقدسات يمكن أن تكون بمثابة جسر بين الأمور العامة والخاصة، بالرغم من أنها تمثل منطقة متميزة في حد ذاتها. وقد خلصت المناقشة إلى ضرورة وجود تحالف بين الأديان من شأنه أن يقدم حلا للسياسات العدائية المتزايدة، والتهديدات التي تستهدف الهُوِيَّة سواء كانت هذه التهديدات وهمية أو حقيقية.

صدام الحضارات أو المصالح

أبرزت المناقشة عمق الحاجة إلى "حوار بين الحضارات"، وهو مفهوم نشأ في إيران، وبعد مضيِّ عشر سنوات منذ الإعلان عنه، أشار إليه أيضا صاحب نظرية صدام الحضارات. ورأى غالبية أعضاء المجموعة أنه من غير المناسب وصف المواجهة بين الغرب والإسلام على أنها صدام بين الحضارات؛ وربما كان التوصيف الأكثر واقعية هو تصادم المصالح، وهي تنصبّ على الرغبة في الاستحواذ على مصادر الطاقة. وقد أُشيرَ إلى أن كلا من "الغرب" و "الإسلام" يمر بمرحلة تغيرات من الداخل، وأن المطلوب هو الإدراك المتبادل لهذه التغيرات، وهو ما سوف يعزز من "حوار الحضارات".

كانت هناك مناقشة مستفيضة حول ما إذا كان الإسلام يتوافق مع مفاهيم مثل العلمانية والحداثة. عدد من المشاركين دافع بإصرار عن الرأي القائل بأن الإسلام ليس ضد هذه الأفكار. ونوّه أحد المشاركين إلى إمكانية أن تكون للإسلام "رؤية علمانية" وأشار إلى أن أعمال جمال الدين الأفغاني كواحد من المصلحين الإسلاميين يمكن أن تستخدم كنقطة انطلاق في هذا الموضوع. وذهب آخرون إلى أن الإسلام لا يتعارض مع الحداثة، وأن الأمر يتعلق بفريق من المتشددين ينتمون إلى الطبقة الحاكمة داخل مجتمعات إسلامية، أسهموا أيضا في خلق المشكلة تحت مُسمَّى الدفاع عن الإسلام.

أشار عدد من الأعضاء إلى أن الأمر في النهاية هو صراع بين المصالح يؤجج نيران المواجهة بين الإسلام والغرب. لقد كانت الدول الغربية، وعلى مدى أكثر من نصف قرن، تدرك أهمية النفط والغاز فى العالم المتحضر. وقد تركزت هذه الموارد في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وغيرها من الأراضي التي كان يسيطر عليها غالبية من المسلمين، ومن مصلحة الغرب أن يواصل السيطرة على هذه الأراضي. وهكذا، فقد خلص المشاركون إلى القول بأن المناخ الحالي هو نتيجة للظلم السياسي والاقتصادي ويجب أن تتم معالجة قضاياه في هذا السياق.

التعليم

أتيحت لي صباح اليوم فرصة وشرف لقاء مع فضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ علي جمعة. وقد اتفق كل منا على أن إحدى المشاكل الرئيسية التي تواجه العالم الإسلامى هي الشقاق وعدم التوافق حول بعض أساسيات الدين. وقد وجهت إلى فضيلته سؤالين فيما يتعلق بذلك. (1) ما هو سبب ذلك؟ (2) ما الذي يمكن عمله لتصحيح الوضع؟ وكانت إجاباته عن السؤالين قصيرة لكنها مؤكدة: إن السبب هو قصور التعليم. وإن العلاج هو التعليم.

ويمكنني أن أقرر أن ذلك كان أيضا جوهر الجدل في مجموعتنا. بمعنى أنه كان أحد الخيوط، أما الآخر فيتمثل في قضايا المرأة التي سنتعرض لها، وقد تكرر ذلك خلال مناقشاتنا. وكان رأي المجموعة كذلك أن هناك أيضا قدرا مطلوبا من التعليم في الغرب للتعريف بالإسلام، والعكس بالعكس. هناك أبعاد كثيرة لهذا الموضوع: فعلى الإمام المسلم أن يقوم بتوعية المسلمين المثقفين في الغرب عن الدين، والمسلم التقليدي يحتاج إلى تعريفه بالعالم على اتساعه، والغرب يحتاج معرفة بالإسلام وهكذا.

وبالرغم من أنه لم يكن لدينا الوقت الكافي لمناقشة هذه المسألة بتفاصيلها، فقد ناقش أعضاء المجموعة ضرورة تعليم كل من ينتمي إلى الإسلام أو الغرب، بدءاً من المراحل الأولى لتعليم الأطفال. وقد نادى أحد المشاركين بشعار "من الحضانة إلى الثانية عشرة". وهناك نماذج لذلك بالفعل يجرى تطبيقها فى أمريكا الشمالية ينبغي إخضاعها للدراسة وتطويرها وتطبيقها في مناطق أخرى من العالم. وقد تم التأكيد أيضا على الدور الحاسم والمؤثر للمؤسسات التعليمية والهيئات الدينية التقليدية في مواجهة ردود الفعل العنيفة إزاء الظلم السياسي والاقتصادي في العالم الإسلامى، سواء كان ذلك الظلم واقعا بالفعل أو متوقعا حدوثه.

المرأة في الإسلام

وكما كان الأمر بالنسبة لمسألة التعليم، فقد برزت أيضا خلال المناقشات مسألة عدم المساواة بين الرجل والمرأة. وفي هذا السياق نوقشت عدة خصائص تتراوح بين الحديث عن تدرج الحجاب (من الاكتفاء بوشاح بسيط على الرأس إلى الحجاب إلى النقاب) إلى أهمية تعليم الأمهات الشابات. وأُشيرَ أيضا إلى أنه ما تزال هناك وسائل مختلفة تُستخدَم لتهميش دور المرأة بطرق ماكرة وخطيرة.

وقد أشار العديد من المشاركين إلى أن الكثير من النساء يرتدين الحجاب طوعا، ولسن بالضرورة مضطرات إلى ذلك. ولكنّ ما يقلقهن هو وجود اتجاه لا يُعطِي للمرأة حق الاختيار في هذا الشأن، وظهور نزعة متزايدة لفرض ما يَحِقُّ للمرأة أن تفعله وما لا يَحِقّ. وأُشيرَ إلى أن الكثير من هذا يحدث لأول مرة في تاريخ مصر، على سبيل المثال، وأن هناك حاجة إلى دراسة الأسباب التي أدت إلى هذا الوضع.

موضوعات أخرى جرت مناقشتها

كان مما ساهم في إثراء المناقشات عدد من الدراسات التي جرى تقديمها، وأودّ في ختام هذا التقرير أن أقدم تلخيصا لهذه الدراسات. وقد شملت الموضوعات "دراسات حالة" عن المدّ الإسلامي في باكستان والصومال، وتداعيات هذه الظاهرة وارتباطها بالعنف. وكان فحوى القول في كل هذه الدراسات أن السياسات البالية للولايات المتحدة - القائمة على دعوى التفوق الحضاري، وإضفاء الشرعية على تقديم الدعم للدكتاتوريين والطغاة، وأحادية التصرف واتخاذ القرار – كل ذلك كان السبب الرئيسي وراء المشاكل التي تواجه البلدين.

وقد عُرِضَت على المجموعة دراسة تحليلية عن الأعمال التي قام بها مفكرون بارزون مثل المصلح الإسلامي جمال الدين الأفغاني الذي بيَّن أن الإسلام كان صارما في رفضه الشديد للعنف، والكاتب الإنجليزى برونت Brunt الذي وقف ضد استغلال الدين لتحقيق وتدعيم الأغراض الإمبريالية. وقد ارتأى الحاضرون أنه يتعين بحث وتدبر كل من الرؤيتين في سياق المواجهة بين الإسلام والغرب.

كما استفاد أعضاء المجموعة الرابعة من دراسة حول أهمية الفهم النظري لكيفية إجراء الحوار بين الحضارات، والحاجة في نفس الوقت إلى تطبيق مجموعة من المبادئ العملية، إذا قُدِّرَ لمثل هذا الحوار أن يحدث في الواقع. ففي الحالة الأولى، هناك طريقتان للتبادل بين الحضارات: (1) أن الحدود بين الثقافات والحضارات المتجاورة سوف تسمح بالتسرب الطبيعي للأفكار والثقافات المادية. (2) ومع ذلك، فهناك أيضا حاجة إلى وعي متبادل بين الحضارات المتجاورة من شأنه أن يدفعها للقيام بخطوات منهجية علمية واعية بهدف إيجاد نقاط اتفاق مشتركة. وانتهت الدراسة إلى تأييدها إعلان طهران لعام 1998 الذي تضمن تفاصيل المبادئ الداعية لمثل هذا الحوار باعتبارها أساسا لتعزيز ثقافة الحوار بين الأمم في العالم.

استنتاجات

لم يكن هدف المناقشات هو السعي إلى إيجاد توافق. ومع ذلك فقد انطوت المناقشات على العديد من الملاحظات، في جملة أمور، مثل: لماذا يبدو العالم مختلا بشكل خطير، فهو يتجه إلى "الصدام" ، بديلا عن الحوار، وإلى " الانقسام " بديلا عن التوحد.

- لا يوجد أي تردد في الإعلان عن اعتزام امتلاك القوة، وتراكمها في الكم والنوع، باسم "المصلحة الوطنية".

- على الرغم من المناقشات المكثفة حول "النظام العالمي الجديد" بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فإن هذه العقلية التي تتطلع إلى امتلاك القوة ما زالت موجودة ومستمرة، وفي الحقيقة، قد تكون هي المسؤولة عن إشعال نار المواجهة بين الإسلام والغرب.

إن بداية تصحيح الشقاق المتبادل بين الإسلام والغرب تكمن في السعي إلى زيادة فهم التوجهات التي أُشِيرَ إليها، ثم العمل على تحييدها أو الكف عن التفكير فيها. وفي سبيل تحقيق ذلك أيضا فهناك بعض الملاحظات:

- يجب بذل الجهود لمنع استغلال الدين أو تشويهه في الخطاب السياسي.
- تحسين دور وسائل الإعلام في بث تقاريرها عن صراعات يمكن أن تفسر على أنها صراعات بين "الإسلام والغرب".
- إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية التي كانت محفوفة بالمخاطر في هذا الاتجاه.
- أن هناك أفكارا تدور حول وجود نوع من "الضرورات الإمبراطورية"؛ هذه الأفكار تحتاج إلى أن تُناقَش وأن تثار حولها الأسئلة إذا شئنا أن نصنع حوارا حقيقيا.
- إن هذا يمكن اكتشافه في حملات من نوع "تصوير العدو على أنه شيطان" يثير الخوف والهلع، سواء كان ذلك العدو هو الإسلام أو كوريا الشمالية أو الصين.